أسمـاء كثيـرة

لا يوجد في التاريخ حرب بدون اسم، فهناك الحرب العالمية الاولى والثانية وحرب الخليج الاولى والثانية وحرب السويس وحرب داحس والغبراء... كلها حروب لها اسماء محددة ومعروفة يذكرها المؤرخون كلما كتبوا عنها، الا الحرب التي اندلعت في ١٣ نيسان ١٩٧٥ (هل صحيح ان هذا هو التاريخ الحقيقي لاندلاع الحرب؟) فهي عند البعض الحرب الاهلية، والبعض يطلق عليها حرب الآخرين، وحرب المؤامرة، وحرب اميركا والصهيونية العالمية، وحرب الفلسطينيين واللبنانيين، وحرب الاخوة، وحرب التدخل السوري، وغيرها من اسماء. هي باختصار حرب باسماء كثيرة ومتعددة. تصوروا لم نتفق على اسم واحد للحرب.

للحرب عادات وتقاليد. ومن عاداتها تعلم تمضية الوقت واضاعته في انتظار هدنة جديدة يتحكم بها مجهول، لا يعرفه احد. لم اتعلم من عادات الحرب الاسماع الموسيقى والاغاني، كانت فيروز تطل بصوتها على جميع الاذاعات المتحاربة خارقة الحواجز والملل والطوائف والعقائد. لم ادخن في الحرب ولم اتعلم لعب الورق على عادات اهلها، لكن تيقنت بأن الموسيقى وحدها لغة عالمية ولو في وطن لا تزيد مساحته عن مساحة مدينة، هي فيروز التي قتلت الحرب بالصوت ثم الرحابنة الذين اعطوا للسلم معنى اكبر مما اعطاه كل فلاسفة السلم الاهلي.

في السلم لم افهم يوماً كيف تتوقف الحرب من دون ان تتحق المصالحة الوطنية كما يردد الساسة كل يوم. اظن، وفي بعض الظن اثم، أن طبيعة اللبناني تسمح بالتكيف مع ظروف لا تدخل في حسابات العقل البشري.

انتهت الحرب بهزيمة كل من لم يشارك فيها. هؤلاء انتظروا طيلة ايامها قيام سلطة عادلة ترعاهم وتحبهم وتؤمن لهم عيشاً كريماً، فكانت سلطة ما بعد الحرب، اشبه بميليشيا كبيرة فرغت المؤسسات من محتواها وطبقت سياسة غريبة عجيبة حاولت ان تزاوج فيها بين ديموقراطية هشة في لبنان وديكتاتورية جائرة تتحكم بالجوار فولد نظام هجين قام على زبائنية فاقعة، فالثوار الذين استلموا الحكم كانوا أسوأ من حكام قبل ١٣ نيسان ١٩٧٥ لينهزم كل من لم يشارك في الحرب.

في الحرب كان اسم ساحة الشهداء يخيفني فهي ساحة قتل بامتياز، خط تماس نموذجي بين قسمي عاصمة اخذت قرارها يوماً بالتفرق. في سلم الطائف الهجين فراغها كان يشعرني بالقرف ويذكرني بأني اعبر من شرقية اعرفها تماماً الى غربية احبها كما هي متعددة، تحمل في طياتها تنوعاً لا نجده الا فيها.

بعد ١٤ شباط تحولت في ذاكرتي الى ساحة التقاء عفوي للبنانيين انتفضوا رافضين ان يكونوا وقوداً لحرب جديدة، وذلك على الرغم من انف سلطة لا تشبه الا رجالها ومعارضة صعد في قطارها كل طارئ.

في ذاكرتي تتحول هذه الساحة يوماً بعد يوم الى لبنان المستقبل المليء بحيوية شعب احبه على الرغم من كل اخطائه.

يدفن اللبنانيون في هذه الايام حربهم التي لن تندلع من جديد وبالطبع لا يعود الفضل في ذلك الى الساسة والاشقاء واميركا وفرنسا او بسبب مهرجانات اعلان نهايتها. هي حرب لن تندلع لاسباب ابسط واقل تعقيداً كون بطولات الحرب سقطت الى غير رجعة، وهذه الاخيرة اصبحت تخيف كل من يقترب منها او يفكر فيها، هي كابوس بشع ومصلحة بائدة لا تجلب النفع، لذلك لن تعود.

أنطوان نصر الله